

# العقود الزخرفية على الفنون والعمارة الإسلامية في مصر حتى نهاية العصر المملوكي

إعداد : دكتور / نادر محمود عبد الدايم

مدرس الآثار الإسلامية بقسم الآثار كلية الآداب - جامعة عين شمس

جمهورية مصر العربية





## مقدمة المبحث:

مال الفنانين في العصر الإسلامي إلى استخدام العديد من العناصر الزخرفية غير التقليدية في تجميل منشآتهم المعمارية وتحفهم التطبيقية، فبالإضافة إلى الزخارف النباتية والهندسية والكتاتبية ورسوم الكائنات الحية، استخدم الفنانون أيضاً منذ عصور مبكرة بعض الأشكال والعناصر المعمارية كوحداث زخرفية يقتصر دورها على التزيين فقط. ومن أهم هذه العناصر: الأعمدة والعقود والشرفات ورسوم المنشآت وغير ذلك، مما أعطى لزخارفهم أبعاداً جمالية تفوقوا بها على غيرهم. وتعد العقود واحدة من أهم العناصر المعمارية التي استخدمها الفنانون في العصر الإسلامي للفرض الزخرفي، حيث نراها على العمائر والتحف منذ العصور الإسلامية المبكرة. وربما تعود فكرة استخدام العقود كوحداث زخرفية إلى أسلوب الحنايا في الجدران التي استخدمها الإنسان منذ عصور قديمة ليقطع بها الملل الذي يحس به الناظر إلى جدار ممتد. وقد أدرك الفنانون والمعماريون في العصر الإسلامي أن في العقد ديناميكية وحركة تربط بين العمارة والزخارف فاشفقوا من العقود المعمارية أشكالاً زخرفية متعددة وطوروها. ولم يقتصر استخدام العقود للفرض الزخرفي على العمارة وحدها، بل امتد أيضاً إلى الفنون التطبيقية المختلفة والتحف المنقولة على اختلاف خاماتها وأساليبها الصناعية، فتراها مستخدمة على التحف الخزفية (خاصة البلاطات) والتحف الخشبية والمنسوجات والسجاد والمعادن وغيرها.

ويهتم هذا البحث فقط بأشكال العقود التي نفذت على التحف التطبيقية إلى جانب أشكال العقود الزخرفية التي تشاهد على العمائر الإسلامية خلال الفترة موضوع الدراسة، والتي لا تؤدي أية وظيفة معمارية ويقتصر دورها فقط على الجانب الزخرفي، أي إنه لن يتناول عقود النوافذ والفتحات أو الدخلات التي تقوم بدور تخفيف الأحمال أو تقسيم الجدران لغرض معماري.

وتتطلب دراسة هذا الموضوع في البداية أن نعرض لأنواع هذه العقود ومدى انتشارها يلي ذلك عمل دراسة تحليلية لأشكال العقود الزخرفية والعقود المعمارية المعاصرة لها حتى يمكن الربط بينها لتحديد مدى تأثير الفنان بطرز العقود المعمارية المتواجدة في نفس الفترة. وكذلك الاهتمام بإبراز تأثير المادة الخام والموضع المنفذ فيه العقد الزخرفي، بالإضافة إلى الفرض الجمالي من استخدامه.

## وفيداً بتعريف العقد:

العقد المعماري هو وحدة بنائية ذات هيئة مقوسة بأشكال مختلفة يستخدم كوسيلة لتغطية مساحة بين جدارين، أو عمودين، أو دعائمين. وقد شاع استخدام العقود لأغراض معمارية في العصور السابقة على الإسلام، واستمر الحال كذلك في العصور الإسلامية سواء في المنشآت الدينية أو المدنية، حيث كان يستخدم في صفوف أو بوائك محمولة على أعمدة أو دعائم لتشكيل أروقة أو ظلات مفتوحة.

أما من الناحية الزخرفية فقد عرفه الساسانيون من خلال استخدام الحنايا المعقودة ذات الفرض الزخرفي في تجميل واجهات مبانيهم، وهو ما نراه على واجهات قصري فيروزآباد، وطاق كسري<sup>١</sup>. كما عرفت الحضارة البيزنطية

١- هناك العديد من الدراسات السابقة في هذا المجال تناولت إما هوات مبكرة أو فترات تالية للفترة التي سنعرض لها في هذه الدراسة منها الدراسة التي نشرها King, G., The Architectural motif as ornament in Islamic art, The "Marwan II" ewer and three wooden panels in The Museum of Islamic Art in Cairo, Article in Islamic Archaeological Studies, Vol. 2, 1980, Cairo, 1982

٢- Islamic art, The "Marwan II" ewer and three wooden panels in The Museum of Islamic Art in Cairo

والمنشورة ضمن مجلة: دراسات آثارية إسلامية، مج ٢، ١٩٨٠. وهي تتناول بعض الأشكال المعمارية التي تزخرف بعض التحف المبكرة

وكذلك الدراسة التي نشرها الأستاذ الدكتور / ربيع حامد خليفة بعنوان: العناصر المعمارية ودورها في مجال زخرفة الفنون التطبيقية العثمانية، ضمن العدد السادس من مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٩٥

٣- محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، ١٩٧٢

٤- JONES, D., Surface, Pattern and light. Article in Architecture of the Omayyads, The rise of Islamic Art, P.163, London, 1978, P.163 World

Ibed, P.162

٥- عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ص ١٩٠، القاهرة، ٢٠٠٠ م

٦- Petersen, A., A Dictionary of Islamic Architecture, P.24, London - New York, 1999

٧- فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، ص ١٦٩، شكل ٩٩، القاهرة، ٢٠٠٢.

كما يورد PoPe صوراً للنقوش آدمية داخل إطارات معقودة من التركستان تنسب إلى العصر البارثي Pope, A.U., A Survey of Persian Art, PL.145, b-d-g, Vol 4, London, 1939

أيضاً استخدام العقود كوحداث زخرفية، حيث وجدت في بعض أمثلة الفسيفساء التي تنسب للقرنين الرابع والخامس الميلاديين<sup>٨</sup>. أما في العصر الإسلامي فقد استخدمت العقود الزخرفية منذ فترة مبكرة، حيث تنسب إلى العصر الأموي مجموعة من الآثار المعمارية والتحف التطبيقية التي تحمل عقوداً زخرفية، نجدها على بقايا جدران القصر الأموي قرب عمان بالأردن<sup>٩</sup>، وعلى واجهة قصر الحير الغربي المحفوظة بمتحف دمشق الوطني. كما نجدها على العديد من التحف التطبيقية، مثل إبريق مروان بن محمد، وبعض الأشرطة البرونزية التي تغلف الروابط الخشبية بقية الصخرة، وبعض قطع الأخشاب والأحجار التي سنمرض لها في هذه الدراسة في حينها.

أولاً: العقود النصف دائرية<sup>١٠</sup>

يتكون العقد المعماري من هذا النوع من قوس نصف دائري يكون مركزه على نفس المحور مع قمته ومع نقطتي ارتكازه في الجانبين<sup>١١</sup>. وقد استعمل العقد النصف دائري كوحدة زخرفية على الكثير من نماذج العمارة والفنون الإسلامية المبكرة، من ذلك واجهة قصر الحير الشرقي المؤرخ بحوالي ١١٠ هـ / ٧٢٨ م والمنسوب إلى عصر الخليفة هشام بن عبد الملك، وتظهر العقود هنا بشكل قوس دقيق الاستدارة محمولة على أعمدة منحوتة مزخرفة بأشكال تشبه سف النخيل، وتتخذ قواعدا وتيجانها شكل كتلة مكعبة. وقد نفذت العقود هنا بالنقش البارز في بوائك متصلة لوحة (١). وتظهر عقود مشابهة لذلك في الواجهة الحجرية لقصر الحير الغربي التي أعيد بناؤها، والمحفوفة حالياً بمتحف دمشق الوطني، وهي منفذة بالنقش البارز أيضاً، إلا أن تيجان الأعمدة هنا تتخذ شكلاً قريباً من التاج الكورنثي، كما ملئت العقود بأشكال مشعة<sup>١٢</sup>.

ولم يقتصر الأمر على زخارف العمارة وحدها وإنما امتد استخدام العقود النصف دائرية كعنصر زخرفي إلى التحف التطبيقية أيضاً. من ذلك ما نراه على بعض الألواح البرونزية التي تغطي الروابط الخشبية بالمشن الأوسط في قبة الصخرة (٧٢٢ هـ / ٦٩١ - ٦٩٢ م)، وهي عقود دقيقة التنفيذ محمولة على أعمدة في صفوف تظهر على أكثر من قطعة من هذه الألواح لوحة (٢). كما عثر على موقد حجري ينسب إلى الأردن في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، زخرف الجزء السفلي منه بصف من العقود النصف دائرية، محمولة على أعمدة مستطيلة المقطع تشبه الدعائم البنائية<sup>١٣</sup>، وقد استخدم هنا أسلوب الحز في تنفيذ الزخارف. وينسب إلى مصر في القرنين الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين مجموعة من الألواح الخشبية التي تحمل زخارف عقود نصف دائرية، منها قطعة في متحف كلية الآثار - جامعة القاهرة<sup>١٤</sup> - ربما كانت جانباً لأحد الصناديق - زخرفت بالتطعيم بأشكال عقود قريبة من نصف الدائرة تمتد أرجلها لتصل بالأعمدة التي تحملها دون تيجان لوحة (٣). ومن الملاحظ أن أقواس العقود المنفذة هنا غير دقيقة الاستدارة، وهو ما يرجع بطبيعة الحال إلى ضعف مهارة الصانع وعدم دقته في تنفيذ التطعيم. ولم يقتصر الأمر على هذه القطعة وإنما استخدم نفس الشكل على العديد من الأمثلة<sup>١٥</sup>.

٨- King, G., The Architectural motif as ornament in Islamic art, The "Marwan II" ewer and three wooden panels in The Museum of Islamic Art in Cairo, Article in Islamic Archaeological Studies, Vol. 2, 1980, Cairo, 1982

٩- International Museum With No Frontiers Exhibition., The Omayyads, The rise of Islamic Art, P.61, Spain 2000

١٠- لا يعرف على وجه الدقة أين ومتى بدأت معرفة هذا الشكل من العقود المعمارية، حيث كان منتشرًا في جميع الطرز المعمارية القديمة شرقاً وغرباً. فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية ص ٢٠١. وقد استخدم

ميكروا في العمارة الإسلامية في العقود الحاملة لقبة الصخرة ٧٢ هـ / ٦٩١ م. عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ص ١٩٤

١١- عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ص ١٩٤

١٢- Petersen, A., A Dictionary, P. 24

١٣- قتيبة الشهابي: زخارف العمارة الإسلامية في دمشق، ص ١٩٠، دمشق ١٩٩٦

١٤- International Museum With No Frontiers Exhibition., The Omayyads, The rise of Islamic Art, P.69.

١٥- رقم سجل ١٠

١٦- يحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بقطعة أخرى قريب الشبه بهذه القطعة. رقم سجل ٩٥١٨، زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، شكل ٣٠٤، القاهرة ١٩٥٦، كما توجد قطعة أخرى في متحف برلين. زكي محمد حسن: الفن الإسلامي في مصر من الفتح العربي إلى نهاية العصر الطولوني، لوحة ٢٤، القاهرة ١٩٩٤



الملوكية لوحة (١٠). وتظهر هذه العقود الزخرفية مرة أخرى في عصر المماليك البحرية. وتضم عناصر عصر المماليك البحرية الكثير من الأمثلة لهذا النوع من العقود المستخدمة لأغراض زخرفية بحتة ، نجدها في محاريب جامع أولماس الحجاب (٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م) وجامع منجك اليوسفي (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) ومحارب مدرسة السلطان حسن (٧٥٧-٧٦٤ هـ / ١٣٥٦ - ١٣٦٢ م) وغيرها<sup>٢٤</sup>.

وتظهر العقود النصف دائرية أيضا في عصر المماليك الجراكسة في زخرفة أرضية الضريح الملحق بمدرسة السلطان برقوق بالبحرين (٧٨٦ - ٧٨٨ هـ / ١٢٨٤ - ١٢٨٦ م) لوحة (١١) ، حيث نراها تتخذ شكل حشوات منفذة من الرخام الخردة أمام المحراب تتوجها ميمتا ، وقد نفذت هذه العقود متجهة ناحية القبلة وكأنها تشير إلى اتجاهها.

### العقد المدبب ،

هو شكل آخر من أشكال العقود يتميز بأن قمته لا تتخذ الشكل المقوس وإنما تكون على هيئة نقطة ناتجة من التقاء الأقواس المكونة له<sup>٢٥</sup>. وقد اختلفت الأشكال المعمارية من هذا النوع من العقود . فوجد منها ما يتكون من قوسين مرسومين من مركزين مختلفين ، ويسمى في هذه الحالة بالعقد المدبب ذي المركزين<sup>٢٦</sup>. كما ابتكر المعمارون المسلمون نوعا آخر من العقود المدببة عرفت باسم العقد ذي الأربعة مراكز ، ويتكون العقد في هذه الحالة من أربعة أقواس ترسم من أربعة مراكز مختلفة . وتعود أقدم أمثله في العصر الإسلامي إلى باب بغداد في الرقة<sup>٢٧</sup>. وقد عرفت العمارة الفاطمية في مصر شكلا آخر من أشكال العقود المدببة ، أطلق عليه البعض اسم العقد الفارسي أو العقد الفاطمي . وهو يتكون من قوسين في الجانبين ومستقيمين مماسين لهما يلتقيان عند القمة<sup>٢٨</sup>.

وقد ظهر الاستخدام الزخرفي للعقد المدببة في العمارة الساسانية في الواجهة الخلفية لقصر طاق كسرى. أما في مجال الفنون الإسلامية فلا تعرف حتى الآن أمثلة لاستخدامه في العصر الأموي . وتعد حشوات منبر جامع القيروان (نهاية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، أو بداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) من أقدم ما عثر عليه حتى الآن كأمثلة لاستخدام العقود المدببة للغرض الزخرفي ، وينسب إلى مصر في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي بعض شواهد القبور التي تعتمد في تصميمها على الشكل المعقود بعقد مدبب ، من ذلك شاهد قبر من الرخام محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة<sup>٢٩</sup> ، مؤرخ بعام ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م ، نلاحظ فيه وجود إطار حول النص الكتابي ، عبارة عن عقد به تدبيب قليل من النوع ذي المركزين ، محمول على عمودين تتخذ تيجانها شكل نصف مروحة تخيلية متقابل كما يرتكزان على قواعد بصليبة الشكل لوحة (١٢) .

وينسب إلى مصر في العصر الفاطمي<sup>٣٠</sup> العديد من الأمثلة الفنية - سواء على العمارة أو على التحف التطبيقية - مزخرفة بالعقد المدببة . من ذلك عقد يتوسط محرابا من المحاريب الجصية الموجودة على دعائم جامع ابن طولون<sup>٣١</sup> ، وقد

٢٤- لمزيد من التفاصيل عن هذه المحاريب يمكن الرجوع إلى : حسين مصطفى رمضان : المحاريب الرخامية في قاهرة المماليك البحرية

٢٥- يرى الدكتور فريد شافعي أن أقدم استخدام للعقد المدبب هو في عقود طاق كسرى المؤرخ بعصر الملك شابر الأول (٢٤٦-٢٧٢ م) ، وهي عبارة عن صف من سبع مضاميات أو شبايك وممية على الواجهة الخلفية . فريد شافعي : العمارة العربية في مصر ص ١٧٢ - ١٧٤

٢٦- وقد عقود المسجد الأموي بدمشق (٩٦ هـ / ٧١٤ م) هي أقدم نماذج العقود المدببة في العمارة الإسلامية . فريد

شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية ص ١٧٢

٢٧- كما استخدم أيضا في قصر الأخضر (١٦١ هـ / ٧٧٨ م) وفي الجوسق الخاقاني (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م) وغيرها من المنشآت المعمارية المبكرة أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ص ١٢٠ القاهرة ، ١٩٦٢

٢٨- P. 24 . Petersen. A , A Dictionary of Islamic Architecture

٢٩- فريد شافعي : العمارة العربية الإسلامية ، ماضيها وحاضرها ص ٢٠١ . الرياض ، ١٩٨٢

٣٠- فريد شافعي : المرجع السابق ص ٢٠١ ، شكل ٢٢٢

٣١- رقم سجل ٢٩٥٢ ، نشره

Wiet G. , Catalogue General du Musee Arabe du Caire , Steles Funeraires, Tome Deuxieme , Pl. 26

Le Caire 1936

٣٠- وجدت حشوات زخرفية ذات عقود مدببة في صحن كل من جامعي الأزهر والصالح لطلوع ، إلا أن -٣١- العلماء يؤكدون أنها ليست من تاريخ الإنشاء أو من تجديدات العصر الفاطمي . كريزيول : المرجع السابق ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٤

٣١- اختلفت الآراء حول تاريخ هذا المحراب ، وأرجحها هو قول الدكتور فريد شافعي بنسبته إلى نهاية العصر الفاطمي ، راجع : Shafi'i. F. , An Early Fatimid Mihrab in the Mosque of Ibn Tulun, Bulletin of the Faculty of Arts, Vol. XV, Part. 1, May 1953, Fouad I University, Cairo, 1953

و رغم قلة ما نشاهده من العقود المعمارية النصف دائرية في العمارة الفاطمية في مصر ، إلا أنها تحمل نماذج زخرفية من هذا النوع ، نجدها واضحة في زخارف الجص والأخشاب . ويظهر ذلك في الحشوات الجصية التي تزخرف بعض كوشات العقود ، وتسير ما بين النوافذ بظلة القبلة الفاطمية في الجامع الأزهر لوحة (٤) .

وهي هنا عقود لا ترتكز على أعمدة أو دعائم وإنما تتصل مباشرة بالإطار الخارجي للحشوات<sup>٣٢</sup>. ومن الواضح أن الفنان الفاطمي كانت لديه الرغبة في استخدام العقد النصف دائري في عدة أجزاء هذا الجامع ، ويؤكد هذه الرغبة استخدام العقد النصف دائرية لتشكيل فتحات نوافذ نفس الجامع<sup>٣٣</sup> ، رغم استخدامه لأشكال أخرى من العقود لحمل السقف . ويظهر العقد النصف دائري مرة أخرى كمعصر زخرفي على العمارة الحربية الفاطمية في واجهة برج باب الفتوح لوحة (٥) ، وهو عبارة عن عقد بنائي يحيط بالواجهة المقوسة لكلا البرجين ، ويبدو استخدام العقد النصف دائري هنا متوافقا مع العقد المعماري الذي استخدم للبوابات نفسها .

أما على الفنون التطبيقية الفاطمية فيبدو استخدام العقود النصف دائرية قليلا ، من ذلك وجوده بشكل يشبه الشكل المعماري محمولا على عمودين على ظهر جلسة الخطيب بالمنبر الخشبي الفاطمي بالجامع العمري بمدينة قوص بمحافظة قنا - جنوب مصر المؤرخ بعام ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م لوحة (٦) ، ويحيط به قوس نصف دائري يرتكز على شريطين أفقيين في الجانبين تحوي جميعها نصا كتابيا بالخط الكوفي.

وإذا انتقلنا إلى العصر الأيوبي نجد أن العقود المعمارية المستخدمة في العمارة الدينية الباقية بمصر من هذا العصر ليس من بينها العقد النصف دائري ، بينما اقتصر استخدام هذا العقد على العمارة الحربية فقط وقد ظهر هذا الشكل من العقود زخرفيا على العديد من التحف التطبيقية الأيوبية خاصة على المعادن والزجاج . من ذلك صف من العقود النصف دائرية محمولة على أعمدة منفذة على إبريق من النحاس الأصفر محفوظ في مجموعة همبورج بأمریکا مؤرخ بعام ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م لوحة (٧) ويحمل هذا الإبريق توقيع الصانع أحمد الذكي النقاش<sup>٣٤</sup> ، ومن الملاحظ هنا أن هذه العقود تمثل إطارا لرسم دينية مسيحية . كذلك استخدمت العقود النصف دائرية كفتحات لنوافذ مبنى معماري ضمن موضوع تصويري على إحدى القوالب الزجاجية المزخرفة بالمينا والتذهيب<sup>٣٥</sup> لوحة (٨) ، ومن الملاحظ أيضا أن الموضوعات التصويرية على هذه القارورة يغلب عليها الطابع المسيحي<sup>٣٦</sup>.

وتحتل زخارف العمارة في العصر المملوكي بالعديد من نماذج العقود النصف دائرية الزخرفية ( رغم قلة استخدام هذا النوع كمعقد معماري في هذا العصر ) ، حيث نراها على المحاريب<sup>٣٧</sup> والوحدات الرخامية بشكل خاص . ومن ذلك أجمل أمثلتها لوحة من الفسيفساء المصنوعة من الرخام والصدف ملاصقة لمحارب المدرسة الطبرسية بالأزهر (٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ - ١٣١٠ م) لوحة (٩) وقد اتخذت العقود هنا الشكل المعماري المكون من صحن من الرخام الملون ، كما تبدو كأنها تتوج حشوات مقودة تقصّل بينها أعمدة مزدوجة مسطحة من الحجر شكل (١) ونرى هذا الشكل أيضا في الجزء العلوي من محراب الضريح الملحق بالمدرسة الأقباقية<sup>٣٨</sup> (٧٤٠ هـ / ١٣٤٠ م) ، وهي على هيئة صف من العقود النصف دائرية محمولة على أعمدة مزدوجة تتخذ الشكل المعماري ، ومن الملاحظ أن هذه العقود تنتهي من أعلاها بشكل ميمي يشبه نفس العنصر المستخدم في الزخارف المعمارية

١٧- اختلفت آراء العلماء حول تأريخ زخارف الجصية بالجامع الأزهر . إلا أنها تتفق على أن هذه الحشوات التي

نمرض لها أصلية وتعود إلى العصر الفاطمي . راجع : أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ١ ، ص ٥٦ ، ٥٨ ،

القاهرة ، ١٩٦٥ - كريزيول : العمارة الإسلامية في مصر ، المجلد الأول ، الإخشيدون والفاطميون ، ترجمة عبد

الوهاب غلوب ، ، مراجعة : محمد حمزة إسماعيل ص ٥٨ وما بعدها ، القاهرة ٢٠٠٤

١٨- أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ١ ص ٥٣

١٩- عبد العزيز صلاح سالم : الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي ، الجزء الأول (التحف المعدنية) ، ص ١٨٤ ،

لوحه ٤٠ ، القاهرة ١٩٩٩ .

عبد الناصر ياسين : الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي ص ١٥٩ الإسكندرية ٢٠٠٢

٢٠- أحمد عبد الرزاق أحمد : الفنون الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي ، لوحه ١٩٩ ، جامعة عين شمس ،

القاهرة ، ٢٠٠٣ .

٢١- أحمد عبد الرزاق أحمد : المرجع السابق ص ٢٥٢

٢٢- تند زخرفة المحاريب بصنفوف من البوائك من أهم الأساليب التي عرفت في الفن السلجوقي وانتقلت منه إلى

الفن المملوكي . منى محمد بدر : أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية

والمملوكية بمصر ، ج ٣ ، ص ١٤٢ - ١٤٤ ، القاهرة ٢٠٠٣

٢٣- حسين رمضان حسين : المحاريب الرخامية في قاهرة المماليك البحرية ص ٨٥ ، رسالة ماجستير من كلية

الآثار - جامعة القاهرة ١٩٨١



عقود داخل بعضها دون أن يكون هناك أعمدة ترتكز عليها ، وإنما تمتد أقواسها حتى أرضية الشرفة - وهي تذكرنا هنا بالأسلوب المستخدم على الحشوات الخشبية المبكرة - لوحة (٣) ، وقد تكرر استخدام العقد المديبي في زخرفة العديد من المحاريب الرخامية في العصر المملوكي ، حيث نراه في الجزء العلوي من محراب المدرسة الطيبرسية لوحة (٢١) يسير على هيئة بائكة محمولة على أعمدة مزدوجة ، تملأ أقواسها أشكال إشعاعية . كما يوجد على جانبي طاقية المحراب عقدان من الفسيفساء الرخامية يتخذان الشكل المديبي أيضا ، وقد حمل كل منهما على عمودين ، ومن الملاحظ هنا أن عقود الفسيفساء مسطحة وليست بارزة كالعقود المنفذة داخل المحراب . ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بلوحة من الفسيفساء الرخامية تشبه إلى حد كبير عقود الفسيفساء السابقة<sup>٣٦</sup> ، كما تشبه أيضا الحشوة الموجودة بجوار محراب هذه المدرسة لوحة (١٠) إلا أن عقود لوحة المتحف مديبية . وقد تكرر استخدام العقد المديبي الزخرفي كثيرا في مدرسة السلطان حسن والضريح الملحق بها (٧٥٧-٧٦٤ هـ / ١٣٥٦-١٣٦٢ م) من ذلك استخدامه لتتويج بعض الدخلات على واجهة الضريح لوحة (٢٢) وهو هنا يتخذ الشكل الفاطمي شكل (٧) ، بينما استخدم أيضا وبشكل كبير على الوزرة الرخامية في إيوان القبلة لوحة (٢٣) وكذلك وزرة الضريح . وينسب إلى نفس الفترة استخدام هذا النوع من العقود للزخرفة فقط على كل من واجهة سبيل شيخو العمري بالحطابة (٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م) ومثدنة مدرسة الأمير صرغتمش بجوار جامع ابن طولون (٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م) لوحة (٢٤) ، كما ظهر العقد المديبي الزخرفي من النوع ذي الأربعة مراكز على جانبي مدخل مدرسة أم السلطان شعبان (٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م) .

وينسب إلى عصر السلطان الأشرف شعبان أيضا تحفان رائعتان من الخشب المطعم هما صندوق مصحف<sup>٣٧</sup> وكرسی عشاء<sup>٣٨</sup> محفوظان بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، وقد زخرف كل منهما بصقوف من العقود المديبية من النوع ذي المركزين تتخذ الصنع فيهما شكل الحجر المشهر باللونين الأبيض من العاج والبني من الخشب لوحة (٢٥) . وترتكز العقود على أكتاف مستطيلة تشبه الدعائم شكل (٨) . ويظهر العقد المديبي أيضا في زخرفة الوزرة الرخامية بالقبة الشمالية الملحقة بخانقاة فرج بن برقوق لوحة (٢٦) على هيئة صف من الحشوات المسطحة المنفذة بالرخام الملون ، كما يظهر أيضا في زخرفة الجزء السفلي من محراب القبة نفسها لوحة (٢٧) . ومن أجل نماذج هذا العقد على العمارة في عصر المماليك الجراكسة استخدامه لزخرفة قمم الحنايا الزخرفية الموجودة بين نوافذ مثدنة مدرسة جوهري اللالا بالقلمة (٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م) لوحة (٢٨) وهو هنا من النوع ذي الأربعة مراكز ملوئ بالتصليب بشكل يشبه إلى حد كبير ما وجد في العصر الفاطمي ، كما وجد أيضا منفذا بالنقش البارز على الرخام في الجزء العلوي من محراب مدرسة الغوري (٩٠٩-٩١٠ هـ / ١٥٠٤-١٥٠٥ م) لوحة (٢٩) على هيئة بائكة تتخذ عقودها الشكل المديبي ذي الأربعة مراكز محمولة على أعمدة منفذة بالنقش البارز .

### العقد المفصص

العقد المفصص عبارة عن مجموعة من الأقواس الصغيرة المجوفة اصطلاح على تسميتها بالفصوص توضع متلاصقة في باطن العقد<sup>٣٩</sup> . وقد وردت له بعض التعريفات الأخرى تصفه بأنه عقد دائري ذو مركز واحد يتكون باطنه من سلسلة من الأقواس النصف دائرية<sup>٤٠</sup> . وتطبق هذه التعريفات على أشكال العقود المفصصة التي يكون لها إطار خارجي غير مفصص ، وهي العقود التي تصلح للاستخدام المعماري ، وقد استخدمت هذه الأشكال من العقود للفرضين المعماري والزخرفي . إلا أن بعض هذه العقود المستخدمة للفرض الزخرفي لم تلزم بتلك التعريفات وإنما كان منها الكثير الذي ليس له إطار خارجي ، بل يتكون فقط من مجموعة فصوص تمثل إطارا داخليا وخارجيا ، ويغلب على أشكال العقود الزخرفية المفصصة أن تتخذ شكل فص أوسط كبير وفصوص جانبية متساوية في العدد على الجانبين بينما كان منها أيضا بعض الأشكال التي لا تتخذ فصوصها شكلا منتظما وهو ما سيظهر من خلال استعراض الأمثلة . وتشير بعض الآراء إلى معرفة هذا النوع من العقود

نقد العقد هنا بارزا ومحمولا على عمودين بارزين لهما تيجان ناقوسية الشكل شكل (٢) وقد اتخذ العقد الشكل ذي المركزين الذي يشبه عقود الجامع الذي نفذ فيه لوحة (١٣) . وقد تكررت أشكال العقود المديبية على محراب فاطمي آخر بجامع ابن طولون أيضا ، وهو المحراب الذي يرجع إلى عصر الخليفة المستنصر بالله (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) لوحة (١٤) ، ويضم هذا المحراب عدة عقود داخل بعضها تتفق في كونها مديبية بينما تختلف في نسبها؛ فهي تبدأ من الداخل بعقد من النوع ذي الأربعة مراكز ، يملوه آخر من نفس النوع ، بينما استخدم الشكل ذو المركزين في الجزء العلوي من المحراب كإطار بارز . ورغم تعدد العقود على هذا المحراب إلا أننا لا نجد سوى عمودين اثنين فقط يحملان العقد الأوسط منها . ومن العصر الفاطمي أيضا نجد عقدا مديبيا داخل إحدى الحنايا التي تزخرف كوشات عقد المدخل على واجهة الجامع الأحمر (٥١٩ هـ / ١١٢٥ م) . وقد زخرف هذا العقد من الداخل بخطوط إشعاعية شكل (٣) ، كما وضع داخل حنية معقودة بعقد آخر مفصص له قطاع مديبي ، وهي كلها من النوع ذي الأربعة مراكز لوحة (١٥) . ولم يقتصر استخدام العقود المديبية كوحدات زخرفية على العمارة الدينية فقط وإنما انتقل استخدامه زخرفيا إلى العمارة الحربية أيضا ، فتراه يزخرف واجهة برج باب زويلة لوحة (١٦) ، ويتخذ العقد هنا الشكل ذي المركزين ، وهو يرتكز على جانبين بارزين يمتدان لتشكيل جلية بارزة بطول البرجين . وقد ظهر شكل آخر من أشكال العقود المديبية على العديد من التحف الخشبية الفاطمية ، منها ما نراه على محراب من المحاريب الصغيرة محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة<sup>٤١</sup> لوحة (١٧) ، وقد اتخذ المحراب كله الشكل المعقود ، كما نفذت العقود الزخرفية بداخله على عدة مستويات ، فترى عقدا في الداخل تملأ أقواسه عند القمة إلى الانحناء للخارج مما يعطيه شكلا جماليا يطلق عليه اسم العقد الضام<sup>٤٢</sup> شكل (٤) ، ويحيط بهذا العقد إطار مزدوج يضم في داخله عمودين بتيجان ناقوسية الشكل تحمل عقدا يشبه العقود المعروفة باسم العقد الفاطمي .

وقد تكرر استخدام العقود الزخرفية المديبية على محراب خشبي آخر مشابه للسابق محفوظ أيضا بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة<sup>٤٣</sup> ، يتميز باستطالته وارتكازه على عمودين زخرفيين يتخذان الشكل الحلزوني ولهما تيجان ناقوسية أيضا لوحة (١٨) شكل (٥) وتشابه العقود المستخدمة على هذه المحاريب الخشبية الصغيرة إلى حد كبير مع أشكال العقود المستخدمة على المحاريب الجصية الفاطمية بجامع ابن طولون ، إلا أننا نلاحظ أن عقد المحراب الخشبي لوحة (١٨) لم ينفذ بنفس الدقة التي نفذت بها عقود المحاريب الجصية . ولم يقل اهتمام الفنانين في العصر الأيوبي باستخدام العقود المديبية في الزخرفة عن زملائهم الفاطميين ، وإذا كنا لم نجد على المآثر الأيوبية الباقية بمصر (ربما يرجع ذلك إلى قلة ما تبقى من نماذج المآثر الأيوبية بمصر وحدثت تغيرات كثيرة على ما تبقى منها) إلا أنه يظهر منفذا على العديد من شواهد القبور المنسوبة إلى العصر الأيوبي بهيئة معمارية كاملة عبارة عن عقد مديبي محمول على عمودين منحوتين وتتدلى منه مشكاة<sup>٤٤</sup> ، شكل (٦) . وقد اتخذ العقد هنا الشكل الفاطمي ، إلا أن خطوطه الخارجية غير دقيقة ، كما نلاحظ أيضا أنه يرتكز على عمودين حلزوين لهما تيجان وقواعد ناقوسية ، ورغم عدم دقة التنفيذ إلا أنه يشبه إلى حد كبير التصميم الذي وجد على شاهد القبر السابق لوحة (١٢) والمحاريب الخشبية الفاطمية لوحات (١٧-١٨) .

وإذا انتقلنا إلى العصر المملوكي نجد الكثير من الأمثلة التي تشير إلى انتشار استخدام العقود المديبية للفرضين المعماري والزخرفي على العمارة المملوكية كما استخدم أيضا للفرض الزخرفي على العديد من نماذج التحف التطبيقية ، ومن أهم أمثله في العمارة استخدامه في زخرفة أرضية الضريح الملحق بخانقاة بيبس الجاشنكير (٧٠٦-٧٠٩ هـ / ١٣٠٦-٣١٠ م) لوحة (١٩) ، وتتخذ العقود هنا شكل بائكة منفذة من ألواح الرخام الملون تسير بشكل مواز لجدار القبلة . كما يظهر استخدامه بشكل رائع في زخرفة المسافة المحصورة بين شرفتي مثدنة جامع بشتاك (٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م) لوحة (٢٠) ، حيث يتخذ شكل عقد مركب من عدة

٣٢- أحمد عبد الرازق أحمد : الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي ، لوحة ٤٠ ، القاهرة - جامعة عين شمس ٢٠٠١ .

٣٣- عبد السلام أحمد نظيف : دراسات في العمارة الإسلامية ، ص ٢٢٤ ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

٣٤- رقم سجل ٨٤٦٤

٣٥- تكرر هذا الشكل من العقود على العديد من شواهد القبور الأيوبية راجع : عبد الناصر ياسين : الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي ص ٣٩٦ ، أشكال ٩٧-٩٨-٩٩

٣٦- رقم سجل ٣٠٧٥

٣٧- رقم سجل ٤٥٢

٣٨- رقم سجل ٤٤٩

٣٩- فريد شافعي : العمارة العربية ماضيها وحاضرها ص ٢٣

٤٠- عبد السلام أحمد نظيف : دراسات في العمارة الإسلامية ، ص ٤٦



في زخرفة العمارة الفاطمية ، من ذلك ما وجد في باطن قبة البهو التي أنشأها الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله بالجامع الأزهر (٥١٩ هـ / ١١٢٥ م) لوحة (٣٣) ، وهي تسير في شكل بانكة مكونة من ستة عقود محمولة على أعمدة مزدوجة منفذة بالجص البارز . وقد تكرر استخدام العقود المفصصة بأشكالها المختلفة في العصر الفاطمي على الكثير من الآثار المعمارية<sup>٥٠</sup> . ورغم قلة تنفيذ هذا النوع من العقود الزخرفية على الفنون التطبيقية الفاطمية إلا أننا نجد لها مثالا رائعا على ظهر المحراب الخشبي المنقول من مشهد السيدة رقية (٥٤٩ - ٥٥٥ هـ / ١١٥٤ - ١١٦٠ م) لوحة (٢٤) وهو عبارة عن سلسلة من العقود تسير بالتبادل في اتجاهين متقابلين يتخذ كل منها شكل قوس نصف دائري يرتكز في الجانبين على ركنين يتخذ كل منهما شكل زاوية قائمة . ويختلف شكل العقد المفصص هنا عن باقي العقود المعاصرة له من حيث تفاصيل رسمه إلا أنه يتفق معها في كونه مفصصا .

ويحمل الفن الأيوبي الكثير من النماذج للعقود المفصصة الزخرفية التي يتشابه بعضها مع ما وجد في العصر الفاطمي مثل الحشوات التي توجد على إحدى الدعائم بواجهة ضريح الإمام الشافعي<sup>٥١</sup> (٦٠٨ هـ / ١٢١١ م) ، ومن الملاحظ أن هذا الشكل ذو قمة مدببة ويرتكز على ركنين من زوايا قائمة يليهما قوسين آخرين شكل (١١) ، وهو يذكرنا بالشكل الذي وجد على ظهر المحراب المأخوذ من مشهد السيدة رقية لوحة (٢٤) . كذلك يحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ببعض البقايا من إطارات نوافذ المدرسة الكاملية<sup>٥٢</sup> (٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) يحيط بإحداها بقايا عقد مفصص<sup>٥٣</sup> لوحة (٣٥) . ومن الملاحظ هنا أن هذه الفصوص تسير بشكل أقواس منتظمة في الجزء المتبقي منها . وقد استخدم نفس شكل العقد المفصص أيضا لزخرفة قاعدة المئذنة الأيوبية التي تعلو الباب الأخضر بالمشهد الحسيني (٦٢٤ هـ / ١٢٣٦ م)<sup>٥٤</sup> وهو يشبه إلى حد كبير الشكل الموجود بضريح الإمام الشافعي .

أما الفنون التطبيقية الأيوبية فقد حملت لنا الكثير من أشكال العقود المفصصة التي تزينها ويظهر ذلك بصفة خاصة على المعادن ، من ذلك ما وجد على أحد الشماعد بمتحف الفنون الجميلة ببوسطن يعمل توقيع ابن جلدك الموصلي ومؤرخ بعام (٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) . شكل (١٢) وتشكل العقود هنا قمة الحشوات الزخرفية على جوانب الشمعدان ، وهي تتكون من شكل قوس بصلي في الوسط يرتكز على قوسين جانبيين متشابهين<sup>٥٥</sup> . وقد تكرر استخدام أشكال مشابهة على التحف المعدنية الأيوبية نراها على شمعدان آخر يحمل توقيع الصانع داود بن سلامة محفوظ في متحف الفنون الزخرفية بباريس ومؤرخ بعام (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م)<sup>٥٦</sup> . ومن أجل أشكال العقود المفصصة الزخرفية التي تسبب إلى العصر الأيوبي ذلك الشكل الذي يتكون من التقاء قوائم الحروف في بعض الكتابات ، ويظهر ذلك على بعض الأجزاء من واجهة ضريح الإمام الشافعي (٦٠٨ هـ / ١٢١١ م) في كتابة تقرأ : " الله له الملك " ، وقد تشابكت فيها قوائم حرفي اللام لتكون عقدا مفصصا<sup>٥٧</sup> . وقد تكرر هذا الشكل في كوشة عقد فوق مدخل قبة الخلفاء العباسيين (حوالي ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ - ١٢٤٤ م) أيضا<sup>٥٨</sup> لوحة (٣٦) وهو هنا عبارة عن عقد مكون من خمسة فصوص متساوية الحجم .

وقد اشتهر إعجاب الفنانين في العصر المملوكي بالعقود المفصصة بدرجة كبيرة جعلتهم يقلبون على استخدامها في زخرفة عمارتهم وتجفهم المختلفة ، وتظهر

في الفن الساساني في طاق كسرى الذي ينسب إلى عصر شابور الأول (٢٧١ - ٢٧٢ م) وهو يتكون من أربع حلقات من الطوب<sup>٥٩</sup> . أما في العمارة الإسلامية فقد بدأ استخدام العقود المفصصة للفرض الزخرفي منذ فترة مبكرة حيث نراها في زخارف الحنايا على واجهة باب بغداد بالرقعة (١٥٥ هـ / ٧٧٢ م)<sup>٦٠</sup> ، كما ظهر أيضا في قصر الأخيضر (١٦٣ هـ / ٧٨٠ م) وجامع سامرا (٢٣٣ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م) ثم في مئذنة جامع حلب المؤرخة بعام ٤٨٣ هـ ١٠٩٠ م . وتعد كل هذه الأمثلة المبكرة زخارف على عمارت ، أما على التحف التطبيقية فتجدها على أقدم الأبواب الخشبية الإسلامية الباقية وهو الباب الخشبي المنسوب إلى تكريت والمحمول في متحف بناكي بأثينا<sup>٦١</sup> ، ويتكون هذا العقد من مجموعة من الفصوص النصف دائرية باستثناء الأوسط الذي يتخذ قطاعا مدببا . وينسب هذا الباب إلى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي<sup>٦٢</sup> . كذلك ينسب إلى تكريت أيضا قطعة أخرى من الخشب العباسي المبكر محفوظة في متحف المتروبوليتان بنيويورك تضم زخارفها عقودا مفصصة مكونة من خمسة فصوص<sup>٦٣</sup> . وقد تكرر استخدام العقد المفصص على إحدى حشوات منبر جامع القيروان ، حيث يمثل إطارا لعقد زخرفي آخر مدبب الشكل<sup>٦٤</sup> . ومن الملاحظ هنا أن العقود السابقة الموجودة على قطع خشبية ذات إطار داخلي وخارجي مفصص تختلف عما وجد على باب بغداد بالرقعة .

وإذا انتقلنا إلى مصر الإسلامية نجد أن هذا الشكل من العقود الزخرفية قد استخدم لتتويج إحدى الحنايا الصغيرة التي كانت موجودة في جامع عمرو بن العاص تعود إلى تجديدات عام (٢١٢ هـ / ٨٢٧ م)<sup>٦٥</sup> ، وقد تكرر استخدامه على أحد شواهد القبور بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة لوحة (٢٠) ، وهو يتخذ شكلا مكونا من قوسين جانبيين يتوسطهما شكل مثلث . كما وجد أيضا في جامع أحمد بن طولون (٢٦٣ - ٢٦٥ هـ / ٨٧٦ - ٨٧٩ م) نموذج مشابه لما وجد في جامع عمرو بن العاص<sup>٦٦</sup> .

وفي العصر الفاطمي كثر استخدام العقود المفصصة بأشكالها المتنوعة للفرض الزخرفي ، من ذلك العقد الذي يتوج إحدى نوافذ المئذنة الغربية بجامع الحاكم بأمر الله<sup>٦٧</sup> (٢٨٠ - ٤٠٣ هـ / ٩٩٠ - ١٠١٣ م) ورغم أن العقد هنا يؤدي وظيفة معمارية زخرفية ، إلا أننا نجده يؤدي الفرض الزخرفي وحده على العديد من أمثلة العمارة الفاطمية ، من ذلك العقد الداخلي المنفذ على المحراب الجصي الفاطمي بجامع ابن طولون لوحة (١٢) وقد اتخذ العقد هنا شكلا عبارة عن قمة مستطيلة بها بعض الفتحات ، وعلى جانبيها مجموعة من الفصوص المتنوعة في أشكالها ، إلا أن كل جانبيين يتشابهان معا شكل (٩) . كذلك ظهر شكل آخر من العقود المفصصة على واجهة باب الفتوح ، وهو عقد زخرفي وضع داخل العقد المعماري الذي يتقدم البوابة ويتكون من مجموعة من الأقواس المتشابهة التي يتخذ كل منها شكل عقد صغير ثلاثي الفصوص لوحة (٣١) - ويبدو أن البوابات التي أنشأها بدر الجمالي قد حملت أيضا شكلا آخر من أشكال العقود المفصصة ظهر على جانبي برج باب زويلة (٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) لوحة (٣٢) ، وهو عبارة عن عقد مكون من ثلاثة فصوص ، يتخذ الجانبان شكل القوس النصف دائري ، أما الفص الأوسط وهو أكبر منهما فقد اتخذ الشكل المفصص الذي يشبه عقد واجهة باب الفتوح السابق شكل (١٠) . وتسبب إلى العمارة الدينية الفاطمية مجموعة أخرى من العقود المفصصة نراها تتقدم الحنايا المشعة الموجودة على واجهة الجامع الأقمر لوحة (١٤) وهي من النوع متعدد الفصوص تشبه ما وجد على باب الفتوح .

وبالإضافة إلى هذا الشكل متعدد الفصوص ظهرت أيضا العقود ثلاثية الفصوص

٤١- فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية ص ٢٠٩

٤٢- فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية ص ٢٠٩

٤٣- ربيع حامد خليفة : العناصر المعمارية ، ص ٧١ ، حاشية ٣٥

٤٤- للمزيد حول تاريخ هذا الباب يمكن الرجوع إلى بحث الدكتور فريد شافعي : الأخشاب المزخرفة في الطراز الأموي ، ص ٦٨ - ٦٩ ، فضلا من مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ، مج ١٤ ، ج ٢ ، ديسمبر ١٩٥٢

٤٥- زكي محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية شكل ٢٧٥

٤٦- المرجع نفسه : شكل ٢٢٨

٤٧- Shafii, West Islamic influences on architecture in Egypt (before the Turkish period), P. 15, Bulletin of the Faculty of arts, vol. XVI- part 1, May, Cairo University, 1954

٤٨- Shafii, West Islamic influences, P.15 - ١٨

٤٩- من الجدير بالذكر أن الدكتور فريد شافعي يرى أن العقود المفصصة عرفت في مصر في العصر الفاطمي بتأثير مغربي Fig. v. Shafii, West Islamic Influences, P. ٢. إلا أننا لا يمكن أن ننقل دور الفنون السلجوقية في هذا المجال حيث عرفت العقود المفصصة كوحدة زخرفية في الفن السلجوقي في إيران والأناضول . راجع ربيع حامد خليفة : العناصر المعمارية ودورها في مجال زخرفة الفنون التطبيقية العثمانية ، ص ٧٢

٥٠- من ذلك العقد المفصص الذي يحيط بمحراب مشهد أم كلثوم . كريزويل : العمارة الإسلامية في مصر ، المجلد الأول ، الإخشيديين والفاطميون ، شكل ١٢٥ لوحات ٨٢ ب ١٨ وفي بعض الحشوات التي تملو نوافذ جامع الصالح ملانك Shafii, West Islamic Influences, P. 20

٥١- عبد الناصر ياسين : الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي ، ص ٣٩٦ ، شكل ١١٠

٥٢- Shafii, West Islamic Influences, P. 29

٥٣- Shafii, West Islamic Influences, P. 30

٥٤- عبد العزيز صلاح سالم : الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي جا (التحف المعدنية) أشكال ٤-٣ القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٩ م

٥٥- تكرر هذا النمط على العديد من القطع التي ربما تسبب أيضا إلى بلاد الشام في العصر الأيوبي . من ذلك أحد الطسوت يحمل اسم السلطان الصالح نجم الدين أيوب (٦٢٧ - ٦٤٧ هـ / ١٢٢٩ - ١٢٤٩ م) محفوظ في مجموعة فريز جاليري بواشنطن وعلى ميخرة من النحاس تنسب إلى سوريا في القرن ٧ هـ / ١٣ م بالمتحف البريطاني بلندن ، وعلى إحدى الزمزميات في مجموعة فريز جاليري بواشنطن وعلى إحدى ألعاب النحاسية بمتحف المتروبوليتان .

راجع عبد العزيز صلاح سالم : الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي جا (التحف المعدنية)

٥٦- Shafii, West Islamic Influences, P. 26

٥٧- Shafii, West Islamic Influences, P. 30

من الجدير بالذكر أن الدكتور فريد شافعي ينسب هذا الشكل أيضا إلى التأثيرات المغربية



( ٧٨٦ - ٧٨٨ هـ / ١٢٨٤ - ١٢٨٦ م ) لوحة ( ٤٤ ) حيث تتخذ العقود الشكل الثلاثي الفصوص الذي يرتكز على أعمدة مزدوجة تشبه إلى حد كبير الشكل الذي سبق أن رأيناه على محراب جامع المارداني لوحة ( ٤٠ ) ، ومن أجمل أمثلة العقود المفصصة في عصر الجراكسة استخدامه لزخرفة الأعمدة الرخامية على جانبي محراب خانقاه فرج بن برقوق بالدراسة ( ٨٠٣ - ٨١٢ هـ / ١٤٠٠ - ١٤١٠ م ) . لوحة ( ٤٥ ) وهو عقد مكون من تسعة فصوص أسطها مدبب لا يرتكز على أعمدة وإنما يرتكز على إطار جانبي كما تتدلى منه مشكاة منحوتة . وتضم هذه الخانقاة أيضا واحدا من أدق أشكال العقود المفصصة التي تتكون من التقاء قوائم الكتابات ، وهي تظهر في زخارف باطن القبة الشمالية لوحة ( ٤٦ ) ، وتذكرنا هذه الزخارف بالشكل الذي سبق أن رأيناه في العصر الأيوبي لوحة ( ٣٦ ) . كما استخدمت العقود الثلاثية لزخرفة الجزء العلوي من محراب مسجد السلطان المؤيد شيخ ( ٨١٨ - ٨٢٢ هـ / ١٤١٥ - ١٤٢٠ م ) وامتدت لتفسير بامتداد الوزارة الرخامية التي تكسو جدار القبلة لوحة ( ٤٧ ) . ويظهر لنا العصر الجركسي أيضا تطورا في أشكال العقود الزخرفية المفصصة حيث تحول هذا الشكل إلى ما يشبه الورقة النباتية ( وهو نفس الشكل الذي اتخذته الشراعات المسننة فوق واجهات العمائر ) . ومن أجمل أمثله استخدامه لزخرفة الجزء الذي يعلو النوافذ في المستوى المثمن لمئذنتي جامع السلطان المؤيد شيخ وفي المضاهيات المجاورة لها لوحة ( ٤٨ ) . وقد اتخذ العقد هنا شكلا جميلا متعدد الفصوص يشبه أوراق العنب . وقد تقفن المزخرفون في العصر الجركسي في إنتاج العديد من أشكال هذا النوع نراها على مآذن مسجد كلا من أزيك اليوسفي ( ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ - ١٤٩٥ م ) ومسجد السلطان جقمق ( ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م ) ، ومدرسة الأمير خاير بك ( ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م ) ، أما على المحاريب فتراه يشبه الورقة الثلاثية على محاريب كل من مدرسة السلطان برقوق ومدرسة جوهر اللالا ( ٨٣٣ هـ / ١٤٢٠ م ) ، ومسجد أبو العلا ( حوالي ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م ) ومدرسة السلطان القوري وغيرها لوحة ( ٤٩ ) .

#### العقد حدوة الفرس :

هذا النوع من العقود يزيد فيه محيط القوس عن محيط نصف الدائرة<sup>٦٧</sup> ويستمر القوس في الاستدارة حتى يرتكز فوق تاج العقود<sup>٦٨</sup> ، ويسمى العقد الذي تجاوزت أطرافه نصف الدائرة أيضا باسم العقد المنفوخ<sup>٦٩</sup> . كما يسمى هذا النوع أيضا باسم العقد المتجاوز<sup>٧٠</sup> . وقد تعددت الآراء حول الموطن الأصلي للعقد المعمارية من هذا النوع قبل الإسلام حيث ينسبه العديد من العلماء إلى العراق أو بلاد فارس<sup>٧١</sup> . أما في العصر الإسلامي فقد اتفق الجميع أن أقدم ظهور له كان في عقود الجامع الأموي بدمشق حيث ظهر في البائكات المحيطة بالصحن وفي فتحات الشبائيك التي تملؤها<sup>٧٢</sup> . ورغم ارتباط أقدم الأمثلة بالشرق الإسلامي إلا أن هذا النوع من العقود قد انتقل إلى بلاد الغرب الإسلامي والأندلس وأصبح هو الشكل المفضل بها من الناحيتين المعمارية والزخرفية<sup>٧٣</sup> . وقد طور المعماريون المسلمون شكلا من هذا العقد يجمع بين التدبيب وشكل حدوة الفرس هو الذي وجد في عقود جامع القيروان بتونس<sup>٧٤</sup> . ويطلق على هذا الشكل أيضا اسم العقد المخموس<sup>٧٥</sup> . ويرجع استخدام هذا الشكل من العقود كوحدة زخرفية إلى العصر الساساني المتأخر حيث نجده مرسوما على بعض الأواني المعدنية الساسانية المتأخرة<sup>٧٦</sup> . وتوجد الأمثلة المبكرة للشكل الزخرفي من هذا العقد خارج مصر حيث نجده منفذا على الألواح الخشبية

٦٧- عاصم رزق ، المرجع السابق ، ص ١٩٢

٦٨- Petersen, A., A Dictionary of Islamic Architecture, P. 24

٦٩- احمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ١ ، ص ٢٥ ، حاشية ٢

٧٠- احمد فكري: مسجد القيروان ، ص ٧١ ( مساجد الإسلام - ١ ) ، القاهرة ، ١٩٦٢

٧١- للمزيد حول هذه الآراء ، راجع احمد فكري : مسجد القيروان ص ٧١ - ٧٢ ، فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ، ص ١٧٢

٧٢- فريد شافعي : العمارة العربية في مصر ، ص ٢٠٢

٧٣- فريد شافعي : العمارة الإسلامية ماضيها وحاضرها ، ص ٢٠٢

٧٤- فريد شافعي : العمارة العربية في مصر ، ص ٢٠٧

٧٥- زكي محمد حسن: فنون الإسلام ، ص ١٥١ ، القاهرة ، ١٩٤٨

٧٦- المرجع نفسه ص ١٧٢ . يرى الدكتور زكي محمد حسن أن هذه الصينية تعود إما إلى نهاية العصر الساساني أو أنها إسلامية مبكرة على الطراز الساساني ، راجع ، زكي محمد حسن ، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، أشكال ، ٤٣٨ - ٤٣٩

هذه العقود بشكل رئيسي على المحاريب الرخامية على هيئة صفوف من البوائك الصغيرة ذات الطاقية المضلعة يتخذ عقدها الشكل المفصص<sup>٧٨</sup> . وقد وجد هذا الشكل مبكرا في العصر المملوكي حيث نراه في محراب ضريح قلاوون ( ٦٨٢ - ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ - ١٢٨٨ م ) لوحة ( ٢٧ ) ، شكل ( ١٣ ) وهو عبارة عن عقد مفصص يتوج الحنايا الصغيرة التي تزخرف المحراب ، كما نراه أيضا بشكل مشابه في محراب الضريح الملحق بخانقاة بيبرس الجاشنكير<sup>٧٩</sup> ، وفي محراب المدرسة البديرية<sup>٨٠</sup> ، وفي محراب جامع الأمير حسين ( ٧١٩ هـ / ١٣١٩ م ) وفي محراب مسجد الجمالي يوسف ( ٧٥٨ هـ / ١٣٥٧ م )<sup>٨١</sup> . ولم يقتصر الأمر على المحاريب الرخامية وإنما امتد أيضا إلى زخرفة المحاريب بأشرطة من العقود الجصية تملو طاقية المحراب ، ونرى ذلك في فترة عصر الناصر محمد ، حيث تم تجديد المحراب الفاطمي بالأزهر بوضع شريط من العقود ثلاثية الفصوص محمولة على أعمدة مزدوجة<sup>٨٢</sup> . ونجد هذا الشكل مكررا في الزخارف التي تعلو محراب الجامع العمري بمدينة قوص وتسبب إلى تجديدات عام ( ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م ) وكذلك في المحراب المنسوب إلى الأمير سلاز على واجهة جامع عمرو بن العاص ( ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م )<sup>٨٣</sup> ، ومن الملاحظ أن عقود المحاريب الأخيرين تملؤها المقرنصات لأول مرة في مصر<sup>٨٤</sup> . كذلك ظهر العقد الزخرفي المفصص على العديد من المآذن المملوكية ، حيث نجد على المستوى السفلي المربع لمئذنة مدرسة السلطان قلاوون ( ٦٨٢ - ٦٨٤ هـ / ١٢٨٤ - ١٢٨٥ م ) صفا من العقود ثلاثية الفصوص لوحة ( ٢٨ ) وهي هنا عبارة عن دخلات مصمتة متوجة بالعقود دون وجود أعمدة على جوانبها . وقد تكرر نفس الأمر على مئذنة مدرسة ابنه الناصر محمد بالنحاسين ( ٦٩٥ - ٧٠٢ هـ / ١٢٩٥ - ١٣٠٢ م ) لوحة ( ٢٩ ) ، وتتخذ العقود هنا الشكل الثلاثي أيضا إلا أنها ترتكز على أعمدة مزدوجة تفصل بينها ، كما أنها متفذة بالجص البارز . وقد ظهر شكل العقود المفصصة المملوءة بالمقرنصات مرة أخرى على محراب جامع الطنبغا المارداني ( ٧٣٩ - ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ - ١٣٤٠ م ) بالقاهرة لوحة ( ٤٠ ) وهي هنا عبارة عن صف من العقود ثلاثية الفصوص محمولة على أعمدة مزدوجة من الجانبين تتخذ شكلين أحدهما مملوء بالمقرنصات بينما يخلو منها الآخر ، وهو ما نجده أيضا على محراب المدرسة الطبريسية ( ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ - ١٣١٠ م ) لوحة ( ٤١ ) ، وتتخذ العقود هنا الشكل الخماسي الفصوص الذي تملؤه المقرنصات في صف محمول على أعمدة مفردة . وقد تكرر كثيرا استخدام العقود المفصصة على العديد من منشآت عصر المماليك البحرية حيث نراها على محرابي مدرسة وضريح السلطان حسن ، ومحراب جامع آق ستقر ( ٧٤٧ - ٧٤٨ هـ / ١٣٤٦ - ١٣٤٧ م ) ، وعلى العديد من المآذن مثل مآذن جامع تميز الأحمدي ( ٨٧٦ هـ / ١٤٧٢ م ) وجامع أيدمر البهلوان ( حوالي ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م ددد ) . ولم يقف الأمر عند العمارة فقط وإنما وجدنا استخدام هذه العقود على العديد من التحف التطبيقية خاصة في تشكيل أرجل التانير وكراسي المشاء ، وهو ما نجده في المسافة المحصورة بين أرجل كرسي عشاء الناصر محمد بن قلاوون المحفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة<sup>٨٥</sup> لوحة ( ٤٢ ) حيث اتخذت المسافة بين كل رجلين شكل عقد خماسي الفصوص تتخذ قمته الشكل المدبب . كما وجد العقد المفصص أيضا في المسافة المحصورة بين أرجل التور المعدني المنسوب إلى الأمير قوصون المؤرخ بعام ( ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م ) والمحفوف بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة<sup>٨٦</sup> لوحة ( ٤٣ ) . ولم يختلف الأمر كثيرا في عصر المماليك الجراكسة ، حيث تعددت العقود الزخرفية المفصصة خاصة على المحاريب والمآذن . ونرى ذلك في بداية العصر مستخدما في زخرفة الجزء العلوي من محراب مدرسة الظاهر برقوق

٥٨- حسين مصطفي رمضان : المحاريب الرخامية في القاهرة المماليك البحرية ص ٦١

٥٩- حسين مصطفي رمضان : المحاريب الرخامية في القاهرة المماليك البحرية ص ٨٢

٦٠- حسين مصطفي رمضان : المحاريب الرخامية في القاهرة المماليك البحرية ص ٨٥

٦١- Shafi'i., West Islamic Influences , P. 41- 42

٦٢- جمال عبد الرحيم إبراهيم : الزخارف الجصية في عمارات القاهرة الدينية الباقية في العصر المملوكي البحري ، ص ٤١ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار - جامعة القاهرة ، ١٩٨٦

٦٣- Shafi'i., West Islamic Influences, P. 40

٦٤- Shafi'i., West Islamic Influences, P. 45

٦٥- رقم سجل ١٢٩٠

٦٦- رقم سجل ٥٠٩٠



العمارة في مصر الإسلامية في العصر المملوكي حيث نجدها في أمثلة قليلة أيضا ، من ذلك زخرفة حنية تتوج إحدى الدخلات على واجهة الضريح الملحق بمدرسة السلطان حسن لوحة (٥٦) وهي عبارة عن أقواس يزيد قطاعها قليلا عن نصف الدائرة ، وتسير هذه الأقواس متداخلة لتشكل إطارا مقوسا للحنية شكل (١٥) ، وقد استخدم الفنان هنا الأحجار ذات اللونين الأحمر والأبيض لبيان تبادل العقود . وقد نفذ الفنان العقود ذات اللون الأحمر مرتكزة على أعمدة ، بينما تتداخل معها الأقواس البيضاء دون أن ترتكز على أعمدة . وينسب إلى العصر المملوكي أيضا نموذج آخر في مدرسة أم السلطان شعبان شكل (١٦) . وهو عبارة عن بانكة تسير في شكل قوس يحيط بعقد محراب الضريح الملحق بها ، لوحة (٥٧) ، وتتشابه العقود هنا مع الشكل السابق في اتخاذها قطاعا يزيد قليلا عن نصف الدائرة دون وجود أعمدة ترتكز عليها ، كما ينشأ من تداخل هذه العقود عقود أخرى مدببة متجاورة .

### الدراسة التحليلية :

بعد هذا الاستعراض لأشكال العقود الزخرفية المنفذة على العمارة والفنون الإسلامية في مصر حتى نهاية العصر المملوكي تنتقل إلى العديد من النقاط التي توضح رمزياتها والغرض من تنفيذها وأماكن وطريقة تنفيذها ، مع مقارنتها بما يعاصرها من العقود المعمارية .

### رمزية العقود في الفن الإسلامي :

يرى بعض الباحثين أن المحراب بصفة عامة هو رمز للقبلة<sup>٧٧</sup> ، وهو أمر يبدو منطقيا بالنسبة للمحاريب المعمارية التي اعتدلت على وجودها في المساجد . ويمكن أن نلاحظ من خلال هذا البحث أن العقد الزخرفي قد أصبح رمزا للمحراب . وهو ما ينطبق على تلك العقود الصغيرة التي تشبه المحاريب شكلا وتوجد غالبا داخل محاريب المساجد والمدارس والأضرحة لوحات (٩ - ٢١ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٧ - ٤٠ - ٤١ - ٤٤ - ٤٥ وغيرها) ، كما توجد أيضا على الواجهات الرخامية التي تزخرف جدران القبلة بشكل كبير لوحات (١٠ - ٢٢ - ٢٦ - ٤٧) . كذلك يمكن أن نربط هذا باستخدام العقود الزخرفية على بعض الأرضيات الرخامية للقباب الضريحية حيث تسير في صفوف موازية لجدار القبلة لوحات (١١ - ١٩) وتشير أيضا إلى اتجاهها<sup>٧٨</sup> . وبالإضافة إلى اعتبار العقد رمزا للمحراب ، فإنه أصبح رمزا دينيا عاما من خلال استخدامه كمعصر زخرفي على غالبية العناصر الدينية وعناصرها ، كالمآذن والقباب أو على التحف ذات الصلة بالعمارة الدينية كالأبواب والمنابر والمحاريب الخشبية - حيث وجد بشكل أساسي على المحاريب الفاطمية الصغيرة<sup>٧٩</sup> - لوحات (١٧ - ١٨) . كما نجده أيضا على المحاريب الجصية التي أضيفت في العصر الفاطمي على دعائم جامع أحمد بن طولون لوحات (١٣ - ١٤) . ويحمل العقد الزخرفي رمزية دينية أخرى من خلال استخدامه على شواهد القبور ، حيث كثر تنفيذه كأطار للعديد من الشواهد<sup>٨٠</sup> لوحات (١٢ - ٣٠) . ومن المحتمل أن يكون العقد هنا إشارة لاتجاه القبلة الذي يجب أن يوجه المتوفى إليه .

وإذا كان هذا الاستخدام قد شاع برمزية دينية على التحف والفنون الإسلامية فإنه قد شاع أيضا كأطار للرسوم الدينية المسيحية الموجودة على العديد من التحف المنتجة في العصر الأيوبي<sup>٨١</sup> لوحات (٧ - ٨) وهو أمر يدعو إلى التساؤل حول وجود نفس المعنى للعقد في الفن المسيحي . الحقيقة أن هذه التحف وإن كانت تحمل رسوما دينية مسيحية إلا أن الذين نفذوها هم فنانون مسلمون بنفس الرمزية المعروفة في الفن الإسلامي للعقد أو المحراب<sup>٨٢</sup> ، ويتأكد هذا الأمر من خلال معرفة

الموجودة أسفل سقف المسجد الأقصى والمؤرخة بعام (١٦٣ هـ / ٧٨٠ م)<sup>٧٧</sup> ، كما نراه بكثرة في زخارف جامع القيروان ومساجد المغرب الإسلامي . وينسب إلى العصر الفاطمي محراب من المحاريب الخشبية الصغيرة محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة يتخذ إطاره شكل العقد المدبب الفاطمي ، بينما يتوسطه عقد حدوي يرتكز على عمودين حلزوين منفذ بالنقش البارز ، ويتميز العقد هنا بأنه يجمع بين التدبيب وبين شكل حدوة الفرس<sup>٧٨</sup> . وقد انتشر استخدام هذا الشكل من العقود الزخرفية على فنون العصر المملوكي . من ذلك وجوده في محراب جامع أولماس الحاجب في الجزء الفاصل بين المحراب وطاقيته<sup>٧٩</sup> ، وكذلك في الشريط العلوي الذي يزخرف محراب جامع منجك اليوسفي لوحة (٥٠) وفي الجزء السفلي من محراب جامع الطنبغا المارداني<sup>٨٠</sup> لوحة (٥١) وهو عبارة عن بانكة تفصل بين عقودها ألواح مستطيلة من الرخام دون وجود أعمدة . وقد استخدم نفس الأسلوب في تنفيذ العقود الزخرفية في الشريط العلوي بمحراب القبة الشمالية الملحقة بخانقاة فرج بن برقوق بالدراسة لوحة (٥٢) . وتتشابه الأشكال السابقة في وجودها ضمن زخرفة محاريب رخامية وكذلك في عدم وجود أعمدة تحمل العقود فيها إلا أنها تختلف في ظهور التدبيب في اثنين منها هما عقود محراب جامع الطنبغا المارداني ومحراب القبة الشمالية بخانقاة فرج بن برقوق . ويظهر في محراب جامع الطنبغا استخدام عقود مدببة ذات مركزين أو قوسين مع امتداد كل منهما ليتجاوز حدود ارتكازه ، بينما نجد النوع المستخدم في خانقاة فرج بن برقوق مكونا من أربعة أقواس . أما على واجهات العناصر المملوكية فقد ظهر العقد حدوة الفرس لغرض زخرفي على واجهة الضريح الملحق بمدرسة السلطان حسن حيث نراه يتوج إحدى الدخلات على الواجهة الجنوبية الغربية بشكل قوس يزيد قليلا عن نصف الدائرة ويظهر به تدبيب قليل لوحة (٥٣) شكل (١٤)

### العقد المقرنص :

هو نوع من العقود يزخرف باطنه بمقرنصات تبدأ من أعلاه إلى أسفله وتتخذ أحيانا شكل مقرنصات مقلدة في باطنه ، وقد شاع استخدام هذا النوع من العقود المعمارية في بلاد المغرب والأندلس<sup>٨١</sup> . كما عرف أيضا شكل المداخل والمحاريب المقرنصة في العمارة السلجوقية<sup>٨٢</sup> . ويظهر هذا الشكل قليلا في زخارف العمارة في مصر الإسلامية حيث نجد له مثلا على واجهة الضريح الملحق بمدرسة السلطان حسن لوحة (٢٢) وهو عبارة عن دخلة مثلثة الشكل تضم صفوفًا من المقرنصات داخل عقد مدبب شكل (٧) ، وقد اتخذت المقرنصات شكل وحدات مثلثة بارزة . ومن المرجح أن يكون انتقال هذا الشكل إلى مصر في العصر المملوكي قد جاء على يد الصناع المهاجرين من المشرق والمغرب .

### العقد المتداخلة :

عرفت الزخرفة بالعقد المتداخلة في الفن البيزنطي حيث نجدها في بعض البقايا الحجرية في متحف Saracusa في صقلية عبارة عن أقواس نصف دائرية متداخلة دون أن تحملها أعمدة<sup>٨٣</sup> . وتعد العقود المتشابكة الموجودة على واجهة قصر الحير الغربي أقدم أمثلة هذا الشكل المعروفة من العصر الإسلامي<sup>٨٤</sup> . أما في مصر فقد عثر على بعض قطع الأخشاب التي تنسب إلى أوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، من ذلك قطعة محفوظة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة<sup>٨٥</sup> لوحة (٥٣) ، وهي تضم مجموعة من العقود المتداخلة التي تتخذ قطاعا نصف دائري منفذة بالنقش البارز ، وتسير هذه العقود ممتدة إلى أسفل دون وجود أعمدة ، وتشبه هذه القطعة قطعتان أخريتان بنفس المتحف لا تختلفان في التصميم والتفاصيل عن القطعة السابقة<sup>٨٦</sup> . وتظهر العقود المتداخلة مرة أخرى في زخارف

٧٧- زكي محمد حسن : أطلس الفنون ، أشكال ، ٢٠٧ - ٢١١

٧٨- عبد الناصر محمد ياسين : التأثيرات الفنية الوافدة على الفنون التطبيقية وزخارف العناصر بمصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب بسوهاج ، ١٩٩٩ ، المجلد الثاني ، لوحة ٦٨ .

٧٩- حسين رمضان : المحاريب الرخامية ، ص ٨٥ .

٨٠- المرجع نفسه ، ص ٧٦ .

٨١- عاصم زرق : المرجع السابق ص ٢٠١ .

٨٢- أوقطي أصلان آيا : فنون الترك وعماثرهم ، ترجمة أحمد عيسى ، أشكال ، ٥٥ - ٨٦ - ١١٢ وغيرها ،

استانبول ١٩٨٧

King , op cit, P. 31 - ٨٤

King , op cit, P. 30 - ٨٤

٨٥- رقم سجل ٩٩٢٩

٨٦- أرقام سجل ٦٨٥٣ - ٦٨٥٤

٨٧- عبد الناصر ياسين : الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية ، ص ٢٣٦ ، القاهرة ٢٠٠٦ .

٨٨- ربما كان هذا أيضا هو السبب في استخدام عنصر العقود على سجاجيد الصلاة العثمانية تقليدا لأشكال المحاريب .

٨٩- ربيع حامد خليفة : العناصر المعمارية ودورها في مجال زخرفة الفنون التطبيقية العثمانية ، ص ٩١

٨٩- هناك العديد من المحاريب المشابهة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة راجع Weill, J. D., Catalogue Général du Musée Arabe du Caire, Les Bois à Epigraphes Jusqu'à L'époque Mamlouke P.L., Le Caire 1931

٩٠- يحفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بالكثير منها . راجع Wiet, G., Catalogue Général du Musée Arabe du Caire, Steles Funeraires, Tome Deuxieme, Pls. 35 - 43 - 48 - 51

٩١- وجد هذا النوع بكثرة على العديد من التحف المصنوعة الأيوبية ، إلا أن غالبيتها تنسب إلى بلاد الشام وليس إلى مصر . راجع عبد العزيز صلاح : الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي لوحات (٤٢ - ٥٤ - ٦٣ - ٦٤)

٩٢- عبد الناصر ياسين : الرمزية الدينية ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦





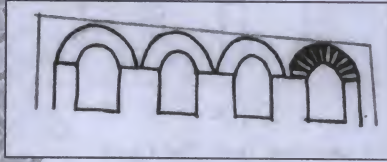


وهو أمر يرتبط برمزيتها الدينية التي سبقت الإشارة إليها ، ويتحدد اتجاه القبلة .  
 - استخدمت العقود الزخرفية على العماثر والتحف التطبيقية في مصر في كافة العصور الإسلامية  
 - كان استخدام العقود الزخرفية على العماثر والتحف الخشبية هو الأكثر شيوعاً مقارنة بباقي المواد وهو ما يرجع بطبيعة الحال إلى ارتباط الأخشاب بالعماثر كأبواب أو نوافذ أو منابر .  
 - كان استخدام العقود الزخرفية على الأخشاب شائعاً حتى نهاية العصر الفاطمي وقل وجودها في العصرين الأيوبي والمملوكي بسبب انتشار الزخرفة بالأطباق النجمية .  
 - لم ترتبط أشكال العقود الزخرفية دائماً بأشكال العقود المعمارية المعاصرة لها - كانت العقود الزخرفية المنفذة على واجهات العماثر وما بها من محاريب ووزرات أكثر دقة من تلك المنفذة على تحف تطبيقية . وربما يرجع ذلك لقيام المعماري بالإسهام في وضع تصميمها والإشراف على تنفيذها . بينما خضعت المنفذة على التحف المنقولة لمهارة الصانع .  
 - حاول الفنانون تقليد شكل البوائك المعمارية بعمل بوائك من العقود الزخرفية على الكثير من المحاريب ولوحات الفسيفساء والأخشاب ، كما حاولوا تقليد شكل الصنج الملونة أيضاً على الأخشاب المطعمة ولوحات الفسيفساء .



شكل (١)

تفريغ لشمل العقود النصف دائرية من إحدى لوحات الفسيفساء بالمدرسة الطيرسية (من عمل الباحث)



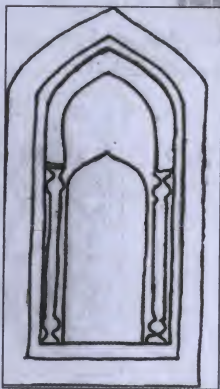
شكل (٢)

تفريغ لشكل العقد الزخرفي المذهب على محراب فاطمي من جامع أحمد بن طولون - (من عمل الباحث)



شكل (٣)

تفريغ لشكل العقد المذهب داخل إحدى الحشوات على واجهة الجامع الأقمر (من عمل الباحث)



شكل (٤)

تفريغ لأشكال العقود المذهبة على محراب خشبي فاطمي (من عمل الباحث)

لملاحظة الأخيرة المهمة في هذا الأمر هي أن العقود الزخرفية قد كثر استخدامها على الأخشاب المبكرة والفاطمية لوحات (٣ - ٦ - ١٧ - ١٨ - ٢٤ - ٥٤) بينما ندر وجودها على أخشاب العصرين الأيوبي والمملوكي . وربما يعود ذلك إلى انتشار أسلوب زخرفي آخر ، هو الأطباق النجمية المنفذة بالتجميع الذي شاع منذ نهاية العصر الفاطمي . والملاحظ هنا أيضاً أن العقود الزخرفية يكاد يتعدى وجودها على الخزف والمنسوجات<sup>٩٨</sup> في فترة الدراسة ، وهو ما يوضح الارتباط الكبير بين العقود الزخرفية وبين المنشآت المعمارية والتحف الموجودة بها كالأخشاب ، أو بالتحف ذات الصفة الجنائزية كشواهد القبور ، أو ببعض الموضوعات الدينية المسيحية التي نفذها فنانون مسلمون في العصر الأيوبي .

### مقارنة بين العقود الزخرفية والعقود المعمارية المعاصرة لها :

شاع في العصور المبكرة استخدام العقد النصف دائري للفرضين المعماري والزخرفي ، وهو ما نراه في عقود قبة الصخرة وزخارف الألواح البرونزية بها وكذلك على واجهات القصور الأموية لوحات (١-٢) كما نراه أيضاً خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين على بعض قطع الأخشاب ، رغم انتشار العقد المذهب معمارياً في منشآت تلك الفترة<sup>٩٩</sup> . ورغم شيوع استخدام العقود المذهبة بأشكالها المختلفة على العمارة الدينية الفاطمية ، فإن ذلك لم يمنع ظهور العقد النصف دائري كوحدة زخرفية على نفس العماثر - كما رأينا في الجامع الأزهر - لوحة (٤) ، كما استخدم أيضاً على بعض التحف التطبيقية مثل منبر جامع قوص لوحة (٦) . وينطبق ما سبق أيضاً على العصرين الأيوبي والمملوكي حيث استخدم العقد النصف دائري للفرض الزخرفي لوحات (٧-٨-٩-١٠-١١) ، بينما لم يظهر استخدامه معمارياً إلا على العمارة الحربية في العصرين . أما العقود المذهبة بأنواعها المختلفة فقد ظهرت الأشكال الزخرفية منها متزامنة مع استخدامها معمارياً بشكل كبير حيث نراها تحمل الأسقف في جوامع ابن طولون والأزهر والحاكم ، كما نراها تزخر العماثر والتحف العباسية والفاطمية في مصر لوحات (١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨) ، وهو ما ينطبق أيضاً على عماثر العصر المملوكي التي شاع فيها استخدام العقود المذهبة سواء لحمل الأسقف أو لفتحات الإيوانات<sup>١٠٠</sup> ، كما شاع أيضاً كعنصر زخرفي على الكثير منها لوحات (١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩) . وإذا انتقلنا إلى العقود المفصصة نجد أنها قد كثر استخدامها في عصور مختلفة للفرض الزخرفي ، وبأشكال متنوعة لوحات (من ٣٠-٤٩) ، إلا أنها لم تظهر معمارياً فيما تبقى من الآثار في مصر في فترة الدراسة إلا في حالات قليلة وكانت عبارة عن إطارات لفتحات بعض النوافذ<sup>١٠١</sup> رغم انتشارها في منطقة المغرب والأندلس . ورغم كثرة استخدام العقود المذهبة في العمارة الإسلامية في مصر<sup>١٠٢</sup> ، ورغم كثرة استخدام هذه العقود للفرض الزخرفي خارج مصر<sup>١٠٣</sup> ، إلا أن ظهورها كوحدة زخرفية على العمارة والفنون التطبيقية في مصر لم يكن كثيراً ، وتتسبب أغلب نماذجها إلى العصر المملوكي لوحات (٥٠-٥١-٥٢-٥٣)

### نتائج البحث :

في نهاية هذا البحث يمكننا تلخيص النتائج في النقاط التالية :  
 - كان للعقد الزخرفي في الفنون الإسلامية رمزاً دينياً عبر به الفنان عن المحراب ، وهو ما يظهر من خلال استخدامه على عماثر دينية وتحف مرتبطة بها .  
 - استخدم الفنان المسلم شكل العقد حول الرسوم الدينية المسيحية كثيراً بنفس رمزيته في الفن الإسلامي .  
 - كانت المحاريب وجدان القبلة هي أكثر الأماكن التي نفذ فيها العقد الزخرفي ،

٩٨- شاع في العصر العثماني استخدام العقود الزخرفية على البلاطات الخرفية المستخدمة لكسوة جدران المساجد ، راجع ، ربيع حامد خليفة : فنون القاهرة في العهد العثماني ، القاهرة (٢٠٠١) ص ٤٤ لوحات (١٦-١٩) . وكذلك على بعض قطع المنسوجات التي ربما كانت تستخدم ككسوة للأضرحة . راجع ، نادر محمود عبد الدايم : التأثيرات العثمانية في الفن العثماني ، لوحة (٥١) ، رسالة ماجستير من كلية الآثار - جامعة القاهرة - ١٩٩٠

٩٩- من ذلك جامع ابن طولون ومقياس النيل في مصر .

١٠٠- من ذلك إيوانات مدرسه السلطان قلاوون ومدرسة جامع الناصر محمد ومدرسة السلطان حسن وجامع المؤيد شيخ وغيرها .

١٠١- من ذلك بعض النوافذ في المئذنة الغربية بجامع الحاكم بأمر الله . Shafi-i , West Islamic Influences , P.7, Fig. 2

١٠٢- مثل مساجد أزكك اليوسفي والقاضي يحيى بالأزهر ومدرسة السلطان برفوق وغيرها

١٠٣- من ذلك الألواح الخشبية الموجودة أسفل السقف بالمسجد الأقصى والمؤرخة بعام ١١٢٢ هـ / ٧٨٠ م . زكي محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية لـ ٣٠٧ - ٢١١ .





شكل (١٤)

تفريغ لشكل العقد حدوة الفرس من على واجهة ضريح مدرسة السلطان حسن (من عمل الباحث)



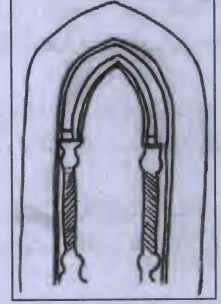
شكل (١٣)

تفريغ لأشكال العقود المفصصة التي تتوج الدخلات المعقودة من محراب قبة السلطان قلاوون (من عمل الباحث)



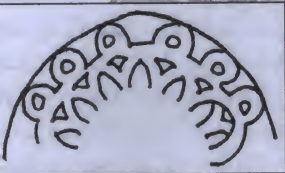
شكل (٦)

تفريغ لشكل العقد المذهب على أحد شواهد القبور الأيوبية (عن عبد الناصر ياسين)



شكل (٥)

تفريغ لأشكال العقود المدببة على محراب خشبي فاطمي (من عمل الباحث)



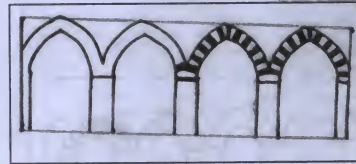
شكل (١٦)

تفريغ لأشكال العقود المتداخلة من محراب الضريح الملحق بمدرسة أم السلطان شعبان (من عمل الباحث)



شكل (١٥)

تفريغ لأشكال العقود المتداخلة من على واجهة مدرسة السلطان حسن (من عمل الباحث)



شكل (٨)

تفريغ لأشكال العقود المدببة على جانب صندوق مصحف السلطان شعبان (من عمل الباحث)



شكل (٧)

تفريغ لشكل العقد المذهب والعقد المقرنص من واجهة ضريح مدرسة السلطان حسن (من عمل الباحث)



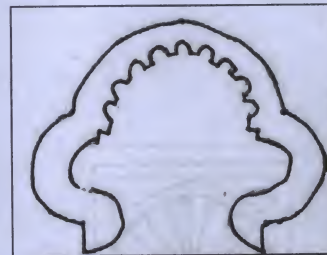
لوحة (٢)

عقود نصف دائرية على بعض الأنوح البرونزية بقبة الصخرة  
Early Muslim Architecture  
Creswell



لوحة (١)

عقود زخرفية نصف دائرية ترخرف واجهة قصر الحيز الشرقي  
Early Muslim  
Architecture Creswell.



شكل (١٠)

تفريغ لأشكال العقود المفصصة على برج ياب زويلة (من عمل الباحث)



شكل (٩)

تفريغ لشكل العقد المفصص على محراب فاطمي من الجص بجامع أحمد بن طولون (من عمل الباحث)



لوحة (٤)

حشوة جصية تتخذ شكل عقد نصف دائري ترخرف إحدى كوشات العقود بظلة القبلة بالجامع الأزهر  
(عن كريزويل العمارة الإسلامية في مصر)



لوحة (٣)

عقود نصف دائرية ترخرف جانب صندوق خشبي محفوظ بمتحف كلية الآثار - جامعة القاهرة



شكل (١٢)

فريغ لشكل حشوة معقودة بعقد مفصص من شمعان أيوبي مؤرخ بعام ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م (نقلا عن عبد العزيز صلاح)



شكل (١١)

تفريغ لشكل عقد مفصص من على واجهة ضريح الإمام الشافعي (نقلا عن فريد شافعي)





لوحة (١٥)  
حشوة زخرفية  
على واجهة الجامع  
الأقمر تضم عقوداً  
متنوعة من العصر  
الفاطمي



لوحة (١٤)  
عقود مديبية  
تزخرف محراب  
جصي من  
عصر الخليفة  
المستنصر  
الفاطمي بجامع  
ابن طولون



لوحة (١٣)  
عقود مشنوعة  
تزخرف محراب  
من الحصن من  
العصر الفاطمي  
بوجود بجامع  
أحمد بن طولون



لوحة (٦)  
عقود نصف دائرية تزخرف ظهر جلسة  
الخطيب منبر الجامع العمري بمدينة قوص  
بمحافظة قنا من العصر الفاطمي



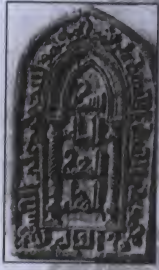
لوحة (٥)  
عقد نصف دائري يزخرف  
واجهة برج باب الفتوح  
من العصر الفاطمي



لوحة (٨)  
عقود نصف دائرية تزخرف جوانب قارورة من  
الزجاج المموه بالمينا من العصر الأيوبي  
(عن: أحمد عبد الرازق: الفنون الإسلامية  
في العصورين الأيوبي والمملوكي)



لوحة (٧)  
عقود نصف دائرية تزخرف  
جوانب إبريق من النحاس من  
العصر الأيوبي محفوظ بمجموعة  
همبورج بألمانيا  
(عن: عبد العزيز صلاح: الفنون  
الإسلامية في العصر الأيوبي)



لوحة (١٨)  
محراب خشبي متقل  
من العصر الفاطمي  
مزخرف بعقود مديبية



لوحة (١٧)  
محراب خشبي متقل  
من العصر الفاطمي  
مزخرف بعقود مديبية



لوحة (١٦)  
عقد مديبي يزخرف واجهة  
برج باب زويلة من  
العصر الفاطمي



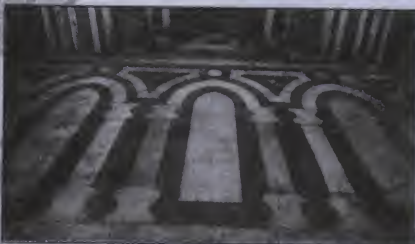
لوحة (١٠)  
صف من العقود الزخرفية نصف دائرية في  
الجزء العلوي من محراب المدرسة الأقباقية  
من العصر المملوكي



لوحة (٩)  
عقود نصف دائرية على لوحة من  
الفسيفساء بجوار محراب المدرسة  
الطبرسية من العصر المملوكي



لوحة (٢٠)  
عقود مديبية تزخرف بدن مؤذنة جامع  
الأمير بشتاك من العصر المملوكي



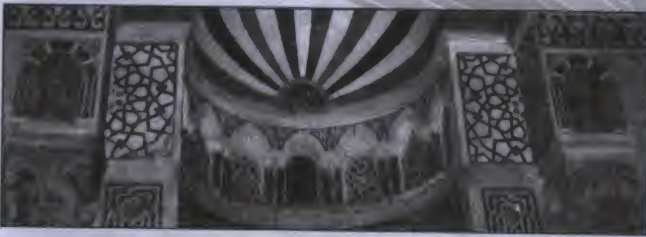
لوحة (١٩)  
عقود مديبية تزخرف أرضية الضريح الملحق  
بخانقاه السلطان بيبرس الجاشنكير من  
العصر المملوكي



لوحة (١٢)  
عقد مديبي يتوج شاهد قبر من الحجر مؤرخ بعام ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م  
Wiet, G., Catalogue General



لوحة (١١)  
عقود نصف دائرية تزخرف أرضية ضريح  
السلطان برقوق من العصر المملوكي



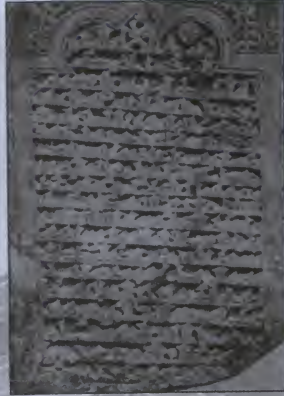
لوحة (٢١)  
عقود مديبية تزخرف الجزء العلوي  
من محراب المدرسة الطبرسية  
من العصر المملوكي





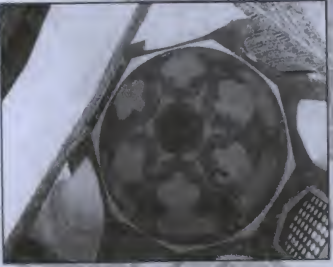
لوحة (٢١)

عقد مفصص زخرفي يعلو بوابة الفتوح من العصر الفاطمي



لوحة (٣٠)

عقد مفصص يتوج شاهد قبر حجري مؤرخ  
بعام ٢٤٥ هـ / ٨٦٠-٨٦١ م عن :  
Wiet, G. Catalogue  
General



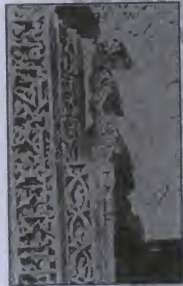
لوحة (٢٢)

عقود مفصصة من الجص تزخرف  
باطن قبة البهو بالجامع الأزهر تنسب  
إلى عصر الخليفة الحافظ لدين الله



لوحة (٢٣)

عقد مفصص يزخرف الجانب  
الداخلي لبرجي باب زويلة



لوحة (٢٤)

عقود مفصصة على ظهر محراب خشبي منقول  
من ضريح السيدة رقية محفوظ حاليا بمتحف الفن  
الإسلامي بالقاهرة من العصر الفاطمي



لوحة (٢٥)

عقد مفصص من بقايا المدرسة الكاملية  
محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة  
نقلا عن Islamic Influences  
Shafi>I.F. West



لوحة (٢٦)

عقود مفصصة تزخرف باطن  
محراب قبة السلطان قلاوون  
بالقاهرة من العصر المملوكي



لوحة (٢٧)

عقد مفصص ناتج من التقاء قوائم  
كتابات كوفية على واجهة قبة الخلفاء  
العباسيين بالقاهرة من العصر الأيوبي  
نقلا عن : Islamic Influences  
Shafi>I.F. West



لوحة (٢٨)

عقود مدببة تزخرف مئذنة  
مدرسة الأمير صرغتمش من  
العصر المملوكي



لوحة (٢٩)

عقود مدببة تزخرف الوزرة  
الرخامية بإيوان القبلة  
بمدرسة السلطان حسن



لوحة (٣٠)

دخلة تزخرف واجهة  
الضريح الملحق  
بمدرسة السلطان حسن  
تضم عقدا مدببا وآخر  
مقرنصا



لوحة (٣١)

عقود مدببة تزخرف الوزرة  
الرخامية بالقبة الشمالية  
الملحقة بخانقاة السلطان  
فرج بن برقوق من العصر  
المملوكي



لوحة (٣٢)

عقود مدببة تزخرف كرسي  
عشاء ينسب إلى السلطان  
الأشرف شعبان بن حسين  
محفوظ بمتحف الفن  
الإسلامي بالقاهرة



لوحة (٣٣)

عقود مدببة تزخرف الدخلات  
الموجودة على مئذنة الشمالية  
بخانقاة فرج بن برقوق



لوحة (٣٤)

عقود مدببة تزخرف الجزء  
السفلي من محراب القبة  
مدرسة جواهر اللالا من  
العصر المملوكي



لوحة (٣٥)

عقود مدببة تزخرف الجزء العلوي من  
محراب مدرسة السلطان الغوري  
من نهاية العصر المملوكي





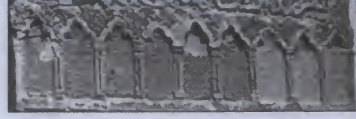
لوحة (٤٩)

عقود بشكل الورقة النباتية تزخرف الجزء السفلي من محراب مدرسة السلطان الغوري بالقاهرة



لوحة (٤٨)

عقود زخرفية بشكل الورقة النباتية تزخرف إحدى مؤذنتي جامع المؤيد شيخ



لوحة (٣٩)

عقود مفصصة تزخرف الجزء المكعب من بدن مؤذنة مدرسة السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة



لوحة (٣٨)

عقود مفصصة تزخرف الجزء المكعب من بدن مؤذنة مدرسة السلطان قلاوون بالقاهرة



لوحة (٥١)

صف من العقود الحدودية تزخرف الجزء السفلي من محراب جامع الطنبغا المارداني بالقاهرة



لوحة (٥٠)

عقود حدوية تزخرف باطن محراب جامع منجك اليوسفي بالقاهرة من العصر المملوكي



لوحة (٥٣)

عقد حدوي يزخرف واجهة الضريح الملحق بمدرسة السلطان حسن



لوحة (٥٢)

صف من العقود الحدودية تزخرف الجزء العلوي من محراب القبة الشمالية الملحقة بخانقاة فرج بن برقوق



لوحة (٥٥)

عقود متداخلة تزخرف دخلة على واجهة مدرسة السلطان حسن بالقاهرة



لوحة (٥٤)

عقود متداخلة على قطعة من الخشب الإسلامي المبكر محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة



لوحة (٤٥)

عقد مفصص يزخرف أحد الأعمدة على جانبي محراب خانقاة فرج بن برقوق



لوحة (٤٤)

عقود مفصصة في الجزء العلوي من محراب مدرسة السلطان الظاهر برقوق بالقاهرة من العصر المملوكي



لوحة (٥٦)

عقود متداخلة تزخرف عقد محراب الضريح الملحق بمدرسة أم السلطان شعبان



لوحة (٤٧)

عقود مفصصة على الوزرة الرخامية التي تكسو جدار القبلة بمسجد المؤيد شيخ بالقاهرة



لوحة (٤٦)

عقود مفصصة ناتجة من التقاء قوائم الكتابات في باطن القبة الشمالية الملحقة بخانقاة فرج بن برقوق



